وهل الإيمان إلا الحب ؟

(٢)

حب
كتاب الله

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

أَنْهَىٰ الشَّبابُ الأُمورَ المتعلِّقةَ بالعُمْرةِ.. ورَاحوا يتفَرَّجونَ على بَعضِ الأماكِنِ التي تَحمِلُ التَّاريخَ والسِّيرةَ..

أَجلْ! لقدْ وَقَفُوا عَلى عَرفَاتٍ.. وهَروَلوا بَين الصّفا والمَروَةِ.. وَشرِبوا مِن مَاءِ زَمزَم وطَافوا حَولَ الكَعْبةِ.. وَشاهَدوا أرْجَاءَ البيتِ الحَرام ، وتَذكَّروا إبراهيم وابنَهُ إسماعيلَ عَليهمَا السَّلام ، وَتذكَّروا هاجَرَ وهيَ تَسعَى بين الصَّفَا والمَروَةِ تَبحثُ عن مَاءٍ لابنهَا الرَّضيعِ.. وتَذكَّروا أَماكِنَ تَعذِيبِ المُشْركينَ للمُسْلِمينَ في صَدرِ الدَّعوةِ إلى الله.. فهَاهُنا كانَ يقفُ بلالُ بنُ رباح ، وَبلالٌ ثابتٌ ثَباتَ جبَال مَكَّة.. وكانَ يردِّدُ نَشِيدَه الخَالِدَ: أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. فَردٌ صَمَد.. لا والدٌ ولا وَلد ، وَلم يكُنْ لهُ كُفواً أَحد..

وهُناكَ كانَ يقفُ أبو جَهْلٍ ليعذِّبَ عَائِلةَ آل

يَاسر: سُميَّة وزَوجها ياسِر وابنهمَا عمَّار.. وَيمرُّ رَسولُ الله فَيشْكُون لهُ الوَضْعَ، فَيقولُ: «صَبراً آل يَاسِر فإنَّ مَوعِدَكُم الجنَّة».

وهَكَذا رَاحَ الشَّبابُ الفَائِزونَ يتذكَّرونَ معَ أَسَاتِذَتِهم ومشَايِخِهِمْ تِلكَ المَواطنَ وما حَدثَ فيهَا.

فَقالَ الشَّيخُ (يَحيى): ألا نَذْهبُ إلى غَارِ حِرَاء؟

أَجلْ! وأَفصحَ الجَميعُ عن رغْبَتِهم لزِيَارةِ المَكَان الذي كَانَ الرسولُ ﷺ يَخْلو فيهِ وَحيداً، قُبيلَ أن تُنزّل عَليه رِسالةُ السَّماءِ..

وانطَلَقوا إلى جَبلٍ يَقعُ في شمالِ شَرقيِّ مكَّة.. ويُدعَى جَبَل النُّور.. وصَعِدُوا فوجدُوا هُناكَ غارَ حِرَاء..

وَراحَ الأستاذُ (زينُ العابِدين) يُحدِّثهم قَائِلاً:

في هَذا المَكانِ الطَّاهرِ كَانت بِدايةُ لقَاءِ السَّماءِ مَع الأَرضِ، هُنا هبطَ جبريلُ عليهِ السَّلامُ على قَلبِ

رَسُولِ الله ﷺ ، وَالوحيُ ليسَ شَيئاً جَديداً ، بلْ كلّ من حَملَ رِسالةَ السَّماءِ كانَ يَنزلُ عليهِ الوَحيُ ، مِصْداقُ ذلكَ قولُه تَعالى:

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقَالَ الأستاذُ (نورُ الهُدَى): آه مَا أشدَّ قوَّتك يَا رسولَ الله.. كَيفَ كنتَ تَخْرجُ إلى هَذا المَكَانِ بيَن الصُّخُور.. وَحِيداً فَرِيداً.. لا أحدَ معَك..؟!

وَماذا عَن فَضائلِ القُرآنِ الكَريم؟!

وسَأل الشَّابُّ (مُهْتدَى) عن فضائلِ القُرآنِ الكَريمِ ، فأجابهُ الشَّيخُ يحيى بالقَولِ:

١ـ لَقد أوردَ البَيانُ الإلهَيُّ الحَديثَ عن القُرآنِ

الكَريمِ بعدَّة صِيَغٍ، فَتارةً يقولُ عنهُ إنَّه مفتاحُ الهِدايةِ:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

[الإسراء: ٩].

وَتارةً يُؤكِّدُ البَيانُ الإلَهيُّ على مسألةِ حِفْظِ القُرآنِ:

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾

[البروج: ٢١ - ٢٢].

وتَارةً يبيِّنُ أنَّ القرآنَ وسيلةُ الحُكمِ بينَ النَّاسِ:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾

[النساء: ١٠٥].

وَتَارةً يَصِفُهُ البيانُ الإلهيُّ على أنَّه الوسِيلةُ القَويَّةُ التي تَنقلُ النَّاسَ - أفَراداً وجَمَاعاتٍ - من الظُّلماتِ إلى النُّورِ:

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾

[إبراهيم: ١].

٢ـ لَقد تحدَّثَ رَسُولُ الله ﷺ عن فَضَائلِ القُرآنِ وَأهميَّة تِلاوَته في كَثيرٍ من المُنَاسباتِ، ففي صَحيحِ البُخَاريِّ قول الرَّسُول: «لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتينِ: رَجلٌ علَّمه اللهُ القُرآنَ فهوَ يَتلُوهُ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، فسَمِعَه جارٌ لهُ فقالَ: يا ليتَنِي أُوْتيتُ مثلَ ما أوتيَ فلانٌ، فَعمِلتُ مثلَ ما يَعمَل، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مَالاً فهوَ يُهلكُه في الحَقِّ، فقالَ رجلٌ: ليتَني أوتيتُ مِثلَ ما أُوتيَ فلانٌ، فعملتُ مِثلَ ما يَعمَل».

وَفي سُننِ التِّرمذيّ بالسَّندِ المتَّصلِ إلى عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ: «ألاَ إنَّها ستكونُ فِتْنةٌ».

قُلتُ: فما المَخْرجُ منها يا رسُولَ الله؟

قَالَ: « كِتابُ اللهِ، فيهِ نَبأُ ما قَبلكُم، وخَبرُ

ما بَعدكُم ، وحُكمُ ما بينكُم ، وهُو الفَصْلُ ليسَ بالهَزْلِ ، من تَركَهُ من جَبَّارٍ قَصَمهُ الله ، ومن ابتَغَى الهُدى في غيرِه أضَلَّه اللهُ ، وهو حَبلُ اللهِ المَتِين ، وهُوَ الذِّكرُ الحَكِيمُ ، وهُوَ الصِّراطُ المُسْتقِيمُ ، وهُو الذي لاَ تَزِيغُ بهِ الأَهواءُ ، ولاَ تلتَبِسُ بهِ الأَلسِنَةُ ، ولا يَشْبعُ منهُ العُلمَاءُ ، ولا يَخْلَقُ على كثرَةِ الرَّدّ ، ولا تَنْقَضي عجَائِبُهُ ، هو الذي لم تَنْتَهِ الجِنّ إذ سَمِعتهُ حتَّى قالُوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾

[الجن: ١ - ٢].

مَن قَالَ به صَدَقَ ، ومن عَمِلَ به أُجِرَ ، ومن حَكَم به عَدَل ، ومن دَعَا إليه هُدِي إلى صِراطٍ مُستقيمٍ».

٣- وأمَّا عن فَضلِ قِراءَته وقَارِئه: فذلكَ أمرٌ يَطُولُ التَّحدُّثُ عنه، من ذلكَ قَولُ رسولِ الله ﷺ: «مَن قرأَ حَرفاً من كتابِ الله فلهُ حَسَنة، والحَسَنةُ

بِعَشرِ أمثالِها ، لا أقولُ ﴿الم﴾ حَرف ، ولكنْ ألفٌ حَرفٌ ، ولامٌ حَرفٌ ، وميمٌ حَرفٌ».

وَعن سَهل بن مُعاذ الجُهنيّ عن أَبيهِ رضيَ الله عَنْهُمَا قالَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «من قَرأَ القُرآنَ وعَمِلَ به ، أُلْبسَ والداهُ تاجاً يَوم القيامَة ، ضوءه أَحسنُ من ضَوءِ الشَّمسِ في بُيوتِ الدُّنيا لو كانَتْ فيكِم ، فَما ظنُّكُم بالذي عَمِلَ بهذا».

وَعن عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن قَرأَ القُرآنَ فاسْتَظْهَرهُ فَأحلَّ حَلاله، وَحرَّم حرامَه ، أدخَلهُ اللهُ به الجنَّةَ، وَشفَّعهُ في عَشرةٍ من أهلِ بيتهِ ، كلّهم قد وَجبَت لهمُ النَّارُ».

وَعن أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ للهِ أهلينَ من النَّاسِ».

قَالوا: مَن هُم يا رَسُولَ الله؟

قَالَ: «أهلُ القرآنِ هُم أهْلُ اللهِ وخاصَّتُهُ».

لَكِن لمَاذا نُحبُّ كِتابَ اللهِ تَعالَى؟!

سَألَ الشَّابُّ (مُعتَز): وَلكِن يا سيِّدنَا لمَاذا نُحبُّ القُرآنَ الكَرِيمَ؟

أَجابَ الشَّيخُ (مُصطَفى): هُناكَ عدَّةُ نَـواحٍ لذلكَ ، أَهمّها:

أ ـ لأنَّ القُرآنَ الكَريمَ نورُ القَلبِ ورُوحُ الحَياةِ ، مِصْداقُ ذلِكَ قولُه تَعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

ب ـ ونُحبُّ القُرآنَ الكَريمَ لأنَّه فيهِ الشِّفاءُ والعِلاجُ للأمراضِ ، خاصَّةً أمْراضَ القلبِ من شُبهاتٍ ونَحو ذلكَ ، مِصْداقُ ذلكَ قَولُه تَعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى

ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وقولهُ تَعالَى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الإسراء: ٨٢].

ج ـ ونُحبُّ القرآنَ الكَرِيمَ لأنَّه يُعرِّفُنا على الله ، وَبذلكَ تتحقَّقُ عُبودِيَّتُنا لله ، وذلكَ لأنَّ قراءةَ القُرآنِ وتدَبّره هما الوسيلةُ لمَعرفةِ ما يريدهُ اللهُ منَّا ، وكيفيَّةِ عبادته سبحانَهُ وتَعالى ، ولولا هَذهِ الرِّسالةُ التي تَربطُ السَّماءَ بالأرضِ لمَا عَرفَ الإنسانُ ذلكَ كلّه.

د ـ وَنحبُّ القُرآنَ الكَريمَ لأنَّه يُربِّي عُقولَنا من حيثُ انفِتاحُها على الأمورِ النَّافِعةِ والابتعادُ عن الأمورِ الضَّارةِ ، والقُرآن لا يوصي إلاَّ بما هو نَافِعٌ ومُفيدٌ ، ولا يمنعُ إلاَّ ما هو ضارٌّ ومُضِرٌّ ، مِصْداقُ ذَلكَ قولُه تَعالَى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟

بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

هـ ـ وَنُحِبُّ القُرآنَ الكَريمَ لأنَّه يُعلِّمنا الثِّقةَ باللهِ وَحدَه ، مصداقُ ذَلكَ قولُ عَامر بنِ عَبد قَيسٍ العَنبريِّ رحِمَهُ اللهُ تَعالى: أَربعُ آياتٍ من كِتَابِ اللهِ إذا قَرأتُهنَّ مَساءً لم أبالِ على ما أُمْسِي ، وإذا تَلوتهنَّ صَباحاً لم أبالِ على ما أُصبِح، قَولهُ تَعالَى:

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ٢].

وقولهُ تعالَى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقولهُ تعالَى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وقولهُ تعالَى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾

[الطلاق: ٧].

و- نُحبُّ كتابَ الله تعالى لأنَّه هديَّةُ اللهِ إلى عِبادِهِ: فَمن أحبَّ شَخصاً انتظرَ رِسَالةً منهُ بفارغِ الصَّبرِ، فكيفَ بالمُؤمنِ الذي يُحِبُّ الله حُبَّاً لا يَعْدِله أيّ شيءٍ، والقُرآنُ هو رسالةُ اللهِ، ويُحِبُّ المُؤمنُ رسولَهُ محمداً ﷺ، والقُرآنُ هبطَ به الأَمينُ جبريلُ على قَلبِ الحَبيبِ محمَّدٍ صَلواتُ اللهِ عليهِ...

إلى القُرآنِ الكَريمِ يَا شَبابَ الإسْلام!!

قَالَ الأستاذُ (نورُ الهدى) موجِّهاً الكَلامَ إلى الشَّبابِ:

كانَ أجدادُنا المُسلِمونَ يَعتنونَ بالقُرآنِ من أَربعةِ زَوايا هيَ:

١ـ **باللسان:** بتِلاوتِه وتَعلُّمِ قرَاءاتِهِ.

٢ـ **بالأَذهانِ:** بِتَدبُّر وتفكُّر ونَظَر.

٣ـ **بالجنانِ:** بالقلوبِ.

٤ـ **بالأَركانِ:** أيْ بجَوارِحهِم ، فَطبَّقوا أحكَامَهُ ، وأحلُّوا حلالَهُ ، وحرَّموا حرامَهُ.

لكن مَعَ تقدُّمِ الزَّمانِ ، انحسرَ ذلكَ كلّه لينحصرَ في اللِّسانِ فقَط!! لِيصْبِحَ القرآنُ وكأنَّه أُنزِلَ لقضَايا المَوت ، أو لِتَزْيينِ المَكْتباتِ ، أو لنفْتَتحَ بهِ حَفلاتنا، لذلكَ أَصبحَ القُرآنُ فينا غَرِيباً.

وَهزَّ الشَّيخُ (يَحيى) رأسَهُ وقالَ: صَدقتَ يا أُستاذ ، فَهناكَ آلافُ الطَّبعاتِ المُزخْرَفةِ والملوَّنةِ والمصغَّرةِ و..!! وَهناكَ اهتمامٌ كبيرٌ بإخراجِ حُروفِ القُرآنِ من مخَارجِها!! وَبدونِ تَدبُّر القُرآن ، وبدونِ الاصطباغِ بكلِّ ما يُريدهُ القرآن ، وبدُونِ جَعلِ القُرآن الدُّستور للنَّاسِ ، مَعنى ذلكَ أنَّنا هَجرنَا روحَ القُرآن ، مصداقُ ذلكَ قولُه تَعالَى:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾

[الفرقان: ٣٠].

وَلا خَلاصَ للمسلمينَ اليَوم ، وَقدْ أُحيطَ بهِم من كلِّ مكَانٍ ، وَقد تَكَالبتْ عليهم أُممُ الشَّرقِ والغَربِ ، وَلا خلاصَ لهم إلاَّ بالعَودةِ إلى كِتابِ اللهِ تَعالَى.

فَيا أيُّها الشَّباب القُرآنيون: اسْتَمسِكُوا بِأَحكامِ القُرآن ، وقِفُوا عندَ حُدُوده ، وأَحبُّوه بكلِّ جَوارِحِكم فهو كلامُ اللهِ تَعالَى.

وَأيقِنوا أنَّه لا حلَّ لمشَاكِلنا إلاَّ بالعَودةِ إلى القُرآنِ الكَريمِ..

ورتَّلَ (سعيدٌ) قولَهُ تَعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤].

وَردَّدَ الجَمِيعُ: صَدَقَ اللهُ العَظِيم.

والحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين